جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى . كلية التربية

كتبٌ

المدارسِ النحويةِ دراسةٌ وتحليلٌ

رسالة تقدمت بها

حنان قادر أمين الباجلان

الى

مجلس كلية التربية في جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

بإشراف

الدكتور عبد الرسول سلمان الزيدي

1424هـ 2003م

الفصل الاول

مصطلح " مذهب " او " مدرسة " بين ايدي الدارسين

لابد للباحث قبل مناقشة حقيقة المدارس النحوية من تحديد مدلولات عدة مصطلحات يكثر تداولها بين الباحثين ، ومن تلك المصطحات : مذهب ، ومدرسة ، واتجاه ، وتيار ، وحركة ، ومنهج ، ونزعة .

أ . المصطلح القديم:

ونعني به "مذهب" ، فقديماً كان يطلق على نحو البصريين والكوفيين لفظة "المذهب" . وقد عرف النحاة قديماً بنسبتهم الى بلدانهم كما فعل ابن سلام (ت 231هـ) ذلك بدلالة قوله : ((وكان لاهل البصرة في العربية قدمة ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية.))[1] .

وهو ما فعله ابو الطيب اللغوي (ت351هـ) اذ ذكر: البصريين ، واهل البصرة ، وعلماء البصرة ، والكوفيين ، واهل الكوفة ، وعلماء الكوفة ، واهل المصرين. [2]

واشار السيرافي (ت368هـ) الى النحاة بـ: البصرين، واهل البصرة، ونحويي البصرة. [3]

ورتب ابو بكر الزبيدي النحاة بحسب بلدانهم وبحسب التسلسل الزمني ، فذكر : البصريين ، والكوفيين ، والمصريين ، والقرويين ، والاندلسيين ، ولم يذكر البغداديين[4]. وذكر لفظة "مذهب البصريين" [5]، و "مذهب الكوفيين" [6].

ويعد ابن النديم (ت380هـ) ، اول من ذكر مصطلح "مذهب" في كتابه "الفهرست" حين تكلم على الجماعة التي خلطت المذهبين ، وذكر منهم (ابن قتيبة) فوصفه بانه ممن خلط المذهبين[7] ، وذكر كلمة "مذهب" حينما تحدث عن ابي موسى الحامض فوصفه بانه

---

[1] طبقات فحول الشعراء : 12/1.

[2] ينظر: مراتب النحويين : 90.

[3] ينظر: اخبار النحويين البصريين : 90.

[4] ينظر: المصدر نفسه : 120–133 ، 168 – 172 ، والمدارس النحوية (د. خديجة الحديثي) : 11.

[5] ينظر: المصدر نفسه : 153 ، والمدارس النحوية (د.خديجة الحديثي) : 12.

[6] ينظر: المصدر نفسه : 152– 153.

[7] ينظر: الفهرس : 115 ، والمدارس النحوية (د. خديجة الحديثي) : 13.

((كان بارعاً في اللغة والنحو على مذهب الكوفيين)) [8]، فضلاً عن قوله عن ابن كيسان : ((وكان بصرياً كوفياً يحفظ القولين ويعرف المذهبين ، وكان اخذ عن ثعلب والمبرد وكان ميله الى مذهب البصريين اكثر ... وكان ابو بكر بن الانباري شديد التعصب على ابن كيسان والتنقص له ، وكان يقول : خلط فلم يضبط مذهب الكوفيين ، ولا مذهب البصريين)) [1].

وذكر ابو البركات الانباري (ت577هـ) كلمة "مذهب" مع "البغداديين" في الغالب .[2] ولم يذكر هذه الكلمة مع البصريين ومع الكوفيين الا قليلاً. [3]

يتضح مما مر ذكره ان القدامى جميعاً استعملوا : مذهب البصرين ، ومذهب الكوفيين، ومن خلطوا المذهبين، ونلحظ انهم ذكروا مصطلح (مذهب) مع البصريين والكوفيين صراحة ، ولم يذكروا مذهباً ثالثاً الا "من خلط المذهبين" يعنون بذلك "البغداديين" ، ولم يستعملوا كلمة "مدرسة".

وقد ظهرت هذه المذاهب النحوية مع نشأة النحو وتكوينه، التي استطاعت مع مرور الزمن تثبيت قواعدها وتكوين طابع يميزها من غيرها .

المذهب لغةً :

جاء في لسان العرب ((... والمذهب المتوضأ لانه يذهب اليه ... والمذهب المعتقد يذهب اليه وذهب فلان لذهبه أي لمذهبه الذي يذهب فيه . وحكى اللحياني عن الكسائي : ما يدرى له اين مذهب ولا يدرى ما مذهب أي لايدرى اين اصله ، ويقال : ذهب فلان مذهباً حسناً...))[4].

وجاء المعنى نفسه في تاج العروس [5] ، كما جاء في متن اللغة : ((المذهب : المعتقد : المحل الذي يذهب فيه : الطريقة التي يتخذها ...))[6].

---

[8] طبقات النحويين واللغويين : 153.

[1] طبقات النحويين واللغويين : 153.

[2] ينظر: نزهة الالباء في طبقات الادباء : 162 ، والمدارس النحوية (د. خديجة الحديثي) : 14.

[3] ينظر: المصدر نفسه : 14.

[4] لسان العرب : مادة (ذهب) ، 379/1.

[5] ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس : مادة (ذهب) ، 450/2.

[6] متن اللغة : مادة (ذ هـ ب) 511/2.

وجاء المعنى نفسه في اكثر المعجمات الحديثة فالمذهب هو الطريقة والاصل والمتوضأ والمعتقد الذي يذهب اليه . [7]

المذهب اصطلاحاً :

اما المذهب اصطلاحاً فهو ((النهج الذي ينتهجه المصر او الطائفة او العالم في تقرير الحقائق وطرق رصدها ووسائل جمعها.

وقد يكون المذهب اخص من ذلك فيطلق على ما يرتئيه الشخص الواحد في المجموعة الواحدة ... واما كلمة مذهب المستعملة في مجال النحو فهي اعم من ذلك اذ تنتظم المدلولين السابقين . واذا نحن اقصينا الاراء الفردية في المذهب الواحد فاننا نرى ان المذهبية بمعناها الفكري تعني الطريقة الواحدة الملتزمة في تقنين القواعد وبنائها.)) [1]

وبهذا يتضح ان لكل مذهب نحوي نهجاً واحداً لايتخلف ولايتأثر الا بحسب ما يقتضيه قانون تجديد الاشياء وتطويرها . [2]

وقال الدكتور عبد العال سالم مكرم : ((اقصد بالمذهب الادلة التي تعتمد عليها المسائل النحوية ، والاصول التي ترتكز عليها قواعدها ...))[3] .

وترى الدكتورة خديجة الحديثي ان المذهب يعني: ((مجموعة الاحكام والاراء الفقهية التي قال بها كل منهما . [4] وتابعه عليها مجموعة من الناس ، والتزموا بها وطبقوها)) [5] .

ب . المصطلح الحديث :

ونعني به مصطلح "مدرسة". وقد اختلف الباحثون في تحديد مدلول هذا المصطلح بل تنكروا له احياناً، ونفوا وجود هذا المصطلح قديماً وحديثاً، واخرين نفوا وجوده قديماً، واقروا وجوده حديثاً.

وظهر هذا المصطلح في العصر الحديث بدلاً من مصطلح "مذهب" عند الدارسين

---

[7] ينظر: الكليات : القسم الرابع /296 ، والموسوعة العربية: مادة (ذهب) : 362/1 ، والمعجم الصافي في اللغة العربية : 186 والمعجم الوسيط : 279/1.

[1] معجم المصطلحات النحوية والصرفية : 86 – 87.

[2] ينظر: المصدر نفسه : 87.

[3] المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة : 416.

[4] أي مذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى .

[5] المدارس النحوية (د. خديجة الحديثي) : 17.

وقبل ذلك ينبغي ان افصح مدلول "مدرسة" لغة واصطلاحاً.

المدرسة لغة :

جاء في لسان العرب ان المدرس هو الموضع الذي يدرس فيه ، والمدراس : البيت الذي يدرس فيه القران، وكذلك مدراس اليهود هو البيت الذي يدرسون فيه . [1]

والمدرسة : مكان التدريس والدرس ، والجمع مدارس[2]، فهو الموضع الذي يدرس فيه . [3]

وجاء المعنى نفسه في المعجمات الحديثة [4].

المدرسة اصطلاحاً:

يعد المستشرق (جوتولد فايل) اول من استعمل مصطلح "المدرسة" في مقدمة كتاب "الانصاف" فالمدرسة عنده تعني: ((الاشتراك في وجهة النظر الذي يؤلف الجبهة العلمية ، ويربط العلماء بعضهم ببعض على راي واحد)) [5]. واستعمل هذا المصطلح المستشرق (كارل بروكلمان) في عدة مواضع. [6]

ومن الباحثين من اطلق تسمية المدارس على مؤلفاتهم ، ومنهم : الدكتور مهدي المخزومي في كتابه "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو" ، والدكتور شوقي ضيف في "المدارس النحوية" ، والدكتور عبد الرحمن السيد في "مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها". والدكتور عبد العال سالم مكرم في "المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة"، والدكتورة خديجة الحديثي في "المدارس النحوية"، والدكتور محمود حسني محمود في "المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي"، والدكتور ابراهيم

---

[1] ينظر: لسان العرب : مادة (درس) ، 381/7 ـ 382.

[2] ينظر: متن اللغة : مادة (درس) ، 400/2.

[3] ينظر: تهذيب اللغة : مادة (درس) ، 359/12 ، والمخصص : باب (الكتابة والاتها) : 4/13.

[4] ينظر: الكليات : القسم الرابع /227 ، والمعجم الصافي : 166 ، والمعجم الوسيط : 279/1.

[5] ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : 352.

[6] ينظر: تاريخ الادب العربي : 124/2-125 ، 128/2.

السامرائي في "المدارس النحوية اسطورة وواقع" ، والدكتور عبد الامير الورد في "المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير".

الا ان هناك من احتفظ بمصطلح "مذهب" وانفرد به، ومنهم : الدكتور عبدة الراجحي في "دروس في المذاهب النحوية" ، والدكتور عبد القادر رحيم الهيتي في "خصائص مذهب الاندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري".

ومنهم من لم يشر الى هذين المصطلحين ، مثل الدكتور مهدي المخزومي . رحمه الله . في كتابه "الدرس النحوي في بغداد" ، والدكتورة خديجة الحديثي في كتابها "بغداد والدرس النحوي".

وعرف الدكتور احمد مكي الانصاري "المدرسة" بانها: ((اتجاه له خصائص مميزة ، ينادي بها فرد او جماعة من الناس ثم يعتنقها اخرون.)) [1] .

ويرى الدكتور احمد مختار عمر ان "المدرسة" تعني: ((وجود جماعة من النحاة ، يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة النحو . ولابد ان يكون هناك الرائد الذي يرسم الخطة ويحدد المنهج ، والتابعون او المريدون الذين يقتفون خطاه ، وتبنون منهجه، ويعملون على تطويره والدفاع عنه .)) [2].

ويرى انه من شروط اطلاق لفظة "المدرسة" : استمرارية النظرية ، واشتراك افرادها في خط فكري معين لا تستقيم وفقاً للمعيار الجغرافي؛ فوجودهم في مكان واحد لايكفي لعدهم اصحاب مدرسة . [3]

ويرى الدكتور عبد العال سالم مكرم ان المدرسة ((... لا تكون مدرسة الا اذا توحدت فيها الاهداف، وتناسقت الاصول ، وتميزت مناهجها بطابع خاص .)) [4] .

والمدرسة عند المستشرقين وبعض الباحثين العرب . كما ذكرت الدكتورة خديجة الحديثي . تعني: ((مجموعة النحاة الذين كونوا درساً نحوياً في بيئة معينة ، سواء اضمهم منهج موحد خاص بهم له اسسه واصوله وقواعده المعروفة المستقلة ، ام كان مبنياً على

---

[1] ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : 352.

[2] البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتاثر : 90.

[3] ينظر: المصدر نفسه : 90.

[4] المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة : 7.

منهج من سبقهم الا انهم استقروا في بيئة اخرى ، وتأثروا بظروف البيئة الجديدة بعض التاثر.)) [5].

وذهبت الدكتورة خديجة الحديثي الى انه ((لا فرق ظاهراً بين ان نسمي هذه المجموعات "مدارس" او "مذاهب" او "مجموعات" او "نزعات" ما دام التقسيم جارياً على النسبة الى البلد ، وسواء اسمينا النحو والنحاة في البصرة : "مدرسة البصرة النحوية" ام "مذهب البصرة النحوي" ام "نحو البصرة" ام "النحويين البصريين" فالمجموعة واحدة . وانما تختلف الدلالة الجزئية حيث تكون كلمتا "نحو" او "مذهب" دالتين على العلم وحده ، وتدل كلمة "مدرسة" على مجموعة النحاة الواضعين لهذا العلم العاملين على ايجاده وتنميته وتنظيمه وتطبيق منهجه واصوله كما تشمل كل من اتبع هذه المجموعة النحوية ، وهذا هو ما تدل عليه التسمية بـ "النحويين البصريين" .

وعلى هذا فان تسميتنا لهذه المجموعات النحوية او البيئات النحوية "مدرسة البصرة" و " مدرسة الكوفة" و "مدرسة بغداد" "مدرسة مصر" و "مدرسة الاندلس" و "مدرسة الشام" لن تغير من المفهوم الذي شاع وعرف عن نحو كل بيئة من هذه البيئات وخصائصه. ولن يغير استعمالنا الكلمة "مدرسة" من الواقع شيئاً . ولن يحتم علينا استعمالها وجود مناهج مختلفة كل الاختلاف للدراسة النحوية في كل بلد وذلك لانه مهما تعددت التسميات ومهما اختلفت المناهج فلن يظن ظان انها تكون مناهج متباعدة مستقلة لا رابط بينها ولا تشابه ولا مشاركة ... ولا فرق بين ان نسمي فصول هذا الكتاب بـ "المذهب النحوي في البصرة" و "المذهب النحوي في الكوفة" او "الدرس النحوي في بغداد" و "الدرس النحوي في مصر" او الشام او غيرها ؛ لان هذا لن يغير كثيراً من الواقع ، فلتكن "المدارس النحوية" او "المذاهب النحوية" او "الدرس النحوي" مادامت كلها تلتقي في اصول واحدة تتبع من لغة عربية اصيلة.)) [1] .

يتضح مما سبق ان الدكتورة اعتمدت في اطلاق تلك التسميات على التقسيم الجغرافي .

---

[5] المدارس النحوية (د. خديجة الحديثي) : 15-16 .

[1] المدارس النحوية (د. خديجة الحديثي): 29 – 30.

ونحن نرى انه لايتم التقسيم على وفق الرقعة المكانية انما على وفق الشروط التي ذهب اليها الدكتور فاضل السامرائي في كتابه "ابن جني النحوي" .

والمدرسة كما يراها الدكتور المخزومي ، ليست ((الا استاذاً مؤثراً ، وتلاميذ متأثرين، اجتمعوا على تحقيق غرض موحد، ونهجوا للوصول اليه منهجاً جديداً.)) [1] . والمخزومي اول من اطلق على كتابه تسمية المدرسة في "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو".

ويرى الدكتور فاضل السامرائي انه لابد من وجود اسس مستقلة ، واراء متميزة واضحة محددة؛ من اجل اطلاق اسم "مذهب" او "مدرسة" ، فلا يصح ان يطلق على المكان وحده. فضلاً عن ان هناك شروطاً لابد من توافرها؛ لكي يتم اطلاق اسم "المدرسة" عليه وهي ان تتبعها في اصول البحث، والمسائل الخلافية، والمصطلحات . [2]

والان لابد لنا ان نسأل : هل "المذهب" و "المدرسة" يعطيان الدلالة نفسها؟

بعد عرضنا لكل من المصطلحين : لغة واصطلاحاً توصلنا الى قسم من الاراء في هذا الموضوع ، اذ يرى الدكتور ابراهيم السامرائي . رحمه الله . ان مصطلح "مدرسة" استعمال اعجمي دخل الينا عن طريق الترجمة ، اذ ان: ((استعمال "مدرسة" بهذا المعنى من اصطلاحات الباحثين في عصرنا الحاضر . ويبدو لي ان مصطلح "مدرسة" بهذا المعنى قد غلب في استعمال المحدثين عن طريق ترجمة الكلمة الاعجمية انكليزية او فرنسية ، والذي اعرفه ان كلمة "ECOLe" الفرنسية حيث تستخدم للتعبير عن مذهب من المذاهب الفكرية او الادبية او الفنية ، انما نعني اسلوباً جديداً في التفكير والبناء قد يتنكر كل التنكر لما هو شائع متعارف قبل ذلك.)) [3] .

وزاد في موضع اخر ان كلمة "مدرسة" المترجمة عن الفرنسية تعني عندهم ما يعني به العرب بكلمة مذهب ، لكن المعاصرين استحسنوا مصطلح "مدرسة" فاستخدموه في مادة الخلاف النحوي في قضايا ادبية اخرى ، مثل الدكتور طه حسين والعقاد والمازني والدكتور

---

[1] مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : 106.

[2] ينظر: ابن جني النحوي : 251 – 252.

[3] النحو العربي نقد وبناء : 56.

شوقي ضيف ، وغيرهم فقالوا : مدرسة اوس بن حجر ، ومدرسة الديوان ، والمدارس النحوية [4] .

فالمذهب . كما يراه السامرائي . ابعد ما يكون عن المدرسة . [1] والمدرسة مأخوذة من كلمة "SChOOL" الانكليزية او كلمة "Ecole" الفرنسية . كما ذكرنا قبل قليل . او ما ناظرهما من اللغات الغربية. [2]

ثم اشار الدكتور ابراهيم السامرائي الى تقليد العرب للغرب في استعمال كلمة "مدرسة" فقد ((حلا للدارسين في عصرنا كلمة "المدرسة" فذهبوا بها مذهباً قد لايرضي العلم . ان هذه "الكلمة" العربية قد عرفناها كلمة تاريخية استعملها المسلمون في عصور حضارتهم ...)) [3] ، و ((الاخذ عن الغربيين في عصرنا طريف ممتع ...)) [4] ، وقد تجاوز الغربيون المألوف في استعمال "المدرسة" فكان لديهم المدرسة الكلاسيكية وغيرها [5]((

وتعني هذه المدارس الغربية ما نعنيه نحن في كلمة "مذاهب" كمذاهب الفقه الاسلامي المعروفة نحو مذهب الامام ابي حنيفة . رضي الله عنه . ... ولكل مذهب من هذه المذاهب طريقة خاصة تقوم على نظر خاص ودلائل خاصة .)) [6] .

ليس لمصطلح "المدارس" في اصول تراثنا . من ناحية الاستعمال الدلالي الحالي . جذر ، بل ان القدماء استعملوا في كتبهم مصطلح (الجماعة) و(اصحاب) و (مذهب) ، والذي خلق جدلاً بين الباحثين في قبول هذا المصطلح او رفضه . [7]

واشار الدكتور نعمة رحيم العزاوي الى ان "المدرسة" كان اسمها اولاً (المدراس) ، ثم الت الى "المدرسة" . [8]

---

[4] ينظر: المدارس النحوية اسطورة وواقع : 12.

[1] ينظر: المدارس النحوية اسطورة وواقع: 13.

[2] ينظر: المصدر نفسه : 139.

[3] المصدر نفسه : 139.

[4] المصدر نفسه : 139.

[5] ينظر: المصدر نفسه: 139.

[6] المصدر نفسه : 139.

[7] ينظر: مناهج التاليف النحوي الحديث في العراق 1950 – 2000 ، 166.

[8] ينظر: مدرسة الكوفة النحوية ... الراي الاخر (بحث) أ . د نعمة رحيم العزاوي ، مجلة الكوفة في جامعة الكوفة ، مج (5) ، ع (1) ، 2001 م ، ص57 .

وتبع الدكتور ابراهيم السامرائي ، اذ يرى انه تقليد للغرب في استعمال هذا المصطلح اذ قال : ((ثم جاء العصر الحديث فوجد العرب ان الغربيين استعملوا كلمة (مدرسة) في غير معناها المألوف ، أي انهم استعملوها بمعنى (المذهب) الذي عرفه العرب في عصور ازدهار العلوم ، فقالوا في تلك العهود : (مذهب الامام الشافعي) و(مذهب الامام جعفر الصادق) وغيرها من مذاهب الفقه الاسلامي المعروفة .)) [1] .

فالعرب اختاروا هذا المصطلح الحديث بدلاً من استعمالهم لكلمة "مذهب" التي عرفها تراثهم الفكري واللغوي ، فقد ذكر الغربيون المدرسة الرومانتيكية ، والمدرسة الكلاسيكية ، والمدرسة الرمزية . [2]

وكلمة "مدرسة" جاءت في عصر متأخر ((حدده بعضهم بمنتصف القرن الخامس الهجري ، او سنة 459هـ على وجه التحديد ، حين اطلقوها اول مرة على مكان انشئ ملحقاً بضريح ابي حنيفة (رضي الله عنه) ، يتلقى فيه الطلبة العلوم على عدد من الشيوخ والعلماء ، ثم اطلقت على (المدرسة النظامية) التي انشئت في ذلك العهد ايضاً .

اما قبل هذا التاريخ فلم يستعمل العرب كلمة "مدرسة" ، لانهم لم يعرفوا اشتقاق بناء (مفعلة) من اسماء المعاني ، بل اشتقوه من اسماء الذوات ... وقد استعمل العرب بدلاً من المدرسة في العصور التي سبقت عصر ظهور هذه الكلمة المشار اليها انفاً ، وكلمة (المدراس) على وزن (مفعال) للمكان الذي يجتمع فيه اليهود لتلاوة العهد القديم ، وهو بناء لا يستعمل للدلالة على المكان في غير هذه الكلمة...)) [3] .

وبعد هذه الموازنة بين المصطلح القديم، والمصطلح الحديث نرى انه لا فرق في المعنى بين المصطلحين ، والافضل ان نبقي على اطلاق تسمية "المذاهب" على ما نسميه الان بالمدارس النحوية ، ولاسيما انه لافرق بين دلالة المصطلحين ، فلماذا نبدل المصطلح القديم بالحديث وهو لا يزيد عليه شيئاً جديداً ؟ وهذا دعوة الى احياء التراث ، والكلمات القديمة فـ (مذهب) و (جماعة) افضل من (مدرسة) ، يزاد عليه ان القدماء قد اصطلحوا على لفظة (مذهب) كما تم عرضه فيما تقدم من البحث[4]، وارى ان الاهتداء بالتسمية التي

---

[1] مدرسة الكوفة النحوية ... الراي الاخر (بحث): 57.

[2] ينظر: المصدر نفسه : 57.

[3] المصدر نفسه : 57.

[4] ينظر : 25–26 من الرسالة .

استعملوها (مذهب) اولى . الا ان الذي يستعمل مصطلح (مدرسة) لابأس عليه ، ولا ينبغي عدّه واهما مادام يبتغي المدلول نفسه .

ومما تجدر الاشارة اليه انه برزت تسميات اخرى تفضي الى دلالة (المدرسة) نفسها ، ومن تلك المصطلحات :

أ . اتجاه:

الاتجاه لغة:

جاء في لسان العرب ((... المواجهة : المقابلة ، والمواجهة : استقبالك الرجل بكلام او وجه . قاله الليث .

وهو وجاهك ووجاهك وتجاهك ، أي حذاءك من تلقاء وجهك . واستعمل سيبويه التجاه اسماً وظرفاً . والوجاه والتجاه : الوجه الذي تقصده ...)) [1] .

فالواو والجيم والهاء ، اصل واحد بدل على مقابلة لشيء ما ، فالوُجهة والوِجهة هما الجانب الذي تتوجه اليه وتقصده ، والجمع وجهات . [2]

ففي قوله تعالى : ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا**﴾ [3] أي قبلة ، فمعنى الاية (((ولكل) من اهل الاديان المختلفة (وجهة) قبلة ، وفي قراءة ابي ولكل قبلة (هو موليها) وجهه فحذف احد المفعولين . وقيل هو لله تعالى أي الله موليها اياه ، وقرئ ولكل وجهة على الاضافة ، والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك : لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربة ، وقرأ ابن عامر هو مولاها أي مولى تلك الجهة قد وليها ، والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم.))[4] .

فـ (وجهة) ((أي قبلة ومعنى اخر وهو ان يراد ولكل منكم يامحمد وجهة أي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية ، وقيل المعنى : ولكل امة قبلة يتوجه اليها منكم و من غيركم)) [5] .

---

[1] لسان العرب : مادة (وجه) ، 557/13.

[2] ينظر: مقاييس اللغة : مادة (وجه) ، 88/6 ، ومتن اللغة : مادة (و ج ه) ، 714/5.

[3] البقرة / 148.

[4] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل : 246/1.

[5] الموسوعة العربية : 72/5.

ويرى الباحث فيصل احمد فؤاد ان الاتجاه والمدرسة ليس شيئاً واحداً كما ظن ذلك كثير من الباحثين ؛ فالمدرسة عنده مقيدة ، والاتجاه مطلق ، ((اذ يمكن ان يتضمن الاتجاه الواحد اتجاهات شتى ، على حين لا مكان لمدرستين في المدرسة الواحدة ، كما يمكن اطلاق الاتجاه على المدرسة في حين استحالة العكس، وليست المسألة حَدّية الا ان المنهج القويم يتطلب الدقة ويقتضي التخصيص ليتسنى له الفرز والتشخيص)). [1] لذلك اثر ان يطلق على رسالته اسم (الاتجاهات النحوية الحديثة) لا المدرسة ؛ لبعده الشامل ونزعته العامة . [2]

والاتجاه من المصطلحات الشائعة في الدراسات النقدية ، وهو يمتاز بالشمول والعموم؛ اذ يبرز كل ما يمكن ابرازه من الخصائص المميزة ، وهو بعيد كل البعد عن (المدرسة) . [3]

ب . تيار:

وهو من المصطلحات الحديثة. ومعناه لغة يعني : موج البحر الذي ينضج. [4]

وترجمت التيارات " Currents " الى العربية الحديثة ، فاطلقها بعضهم على المذاهب النحوية القديمة .

وقد اطلق بعض الباحثين المعاصرين اسم التيارات على تلك المذاهب ، ومنهم الدكتور مازن المبارك ، اذ اطلق عليها التيار البصري ، والتيار الكوفي ، والتيار البغدادي. [5]

ج . حركة:

الحركة لغة ضد السكون . [6] وهو من المصطلحات التي تعطي معنى (مذهب) ، وهذا ما ذهب اليه عدد من المحدثين . [7]

---

[1] الاتجاهات النحوية الحديثة : 5 – 6.

[2] ينظر: المصدر نفسه : 5 .

[3] ينظر: مناهج التاليف النحوي في العراق 1950–2000م : 15.

[4] ينظر: القاموس المحيط : مج 389/1 ، ومتن اللغة : مج 414/1 .

[5] ينظر: الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه : 338 على سبيل المثال .

[6] ينظر: مقاييس اللغة: مادة (نهج): 45/2، والقاموس المحيط: مج 626/1، ومتن اللغة: مادة (ح رك)، مج 71/2.

د . منهج:

المنهج لغة:

جاء في لسان العرب : ((طريق نهج : بين واضح ، وهو النهج وطرق نهجة، وسبيل منهج : كنهج . ومنهج الطريق: وضحه ... والنهج : الطريق وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً...)) [1]

فالمنهج هو الطريق، ونهج لي الامر أي اوضحه، والمنهج الطريق ايضاً والجمع المناهج. [2]

اما المنهج اصطلاحاً فهو ((الطريق ، او الخطة ، التي يسير عليها المرء في أي عمل يقوم به لينظم بموجبه مسيرته للوصول الى مايريد تحقيقه ، وهذا ما نجده عند علماء العربية.)) [3].

هـ . نزعة:

النزعة في اللغة من الفعل (نزع) و : ((نزع عن الامر نزوعاً : تركه ... وعاد الامر الى النزعة ، أي رجع الى الحق، واراد بالنزعة جمع نازع ، وهو الذي ينزع في القوس : يجذب وتره بالسهم .

... ومنزعة الرجل : رأيه . ونازعت النفس الى الامر نزاعاً ، ونزعت اليه ، اذا اشتهته ...))[4].

وهذه الكلمة مرنة يمكن اطلاقها بحرية وبسعة ، وهي تفيد اذا لم يرد الباحث التحديد والتشخيص . [5]

---

[7] ينظر: الاتجاهات النحوية الحديثة : 5 .

[1] لسان العرب : مادة (نهج) ، 383/2.

[2] ينظر: مقاييس اللغة : مادة (نهج) ، 361/5 .

[3] المرادي وكتابه توضيح مقاصد الالفية : 155 .

[4] مقاييس اللغة : مادة (نزع) : 415/5.

[5] ينظر: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة : 5.

وفي نهاية عرضنا لتلك الاراء نرى ان من الافضل عدم تعدد المصطلحات للاشارة الى شيء واحد ، فمصطلح (مذهب) او (مدرسة) يكفيان للاشارة الى مضمون المدارس النحوية . اذ لاجدوى من كثرة المصطلحات مادام المدلول واحداً . يزاد عليه ان دلالة مصطلح (مذهب) القديم و (المدرسة) المصطلح الحديث وافية ولانحتاج حينئذ الى مصطلح اخر .

مؤيدو المدارس النحوية ومنكروها من المحدثين:

لقد اختلف الباحثون بين منكر للمدارس النحوية ، او مؤيد لها ، او مؤيد لقسم منها ومنكر لقسم اخر . وستناول بالذكر كل مدرسة على حدة لذكر منكريها ومؤيديها من المحدثين.

1. **المدرسة الكوفية:**

من المستشرقين الذين ذهبوا الى وجود مدرسة كوفية (بروكلمان) [1] وقد ذهب الاستاذ احمد امين الى وجود مدرسة كوفية يترأسها ابو جعفر الرؤاسي. [2]

وذهب الدكتور مهدي المخزومي الى وجود مدرسة كوفية مستقلة . [3] تبدأ بالكسائي الذي رسم المذهب وخطط له . [4]

وقد الف كتاباً كاملاً في اثبات المدرسة الكوفية وهو "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو". وايد فيها ان يكون الكسائي هو المؤسس. [5] وهو ما اثبته في كتابه "الدرس النحوي في بغداد" ايضاً. [6]

ومن الفريق الذي ايد وجود مدرسة كوفية مستقلة الدكتور احمد مكي الانصاري ، فقد ذكر ((... انها بدأت بالرؤاسي لاسباب كثيرة لا مجال لها هنا ايضاً ، وسواء علينا ابدأت المدرسة الكوفية بالرؤاسي ام بدأت بالكسائي ، ام بدأت بغير هذا او ذاك ، فان الذي لا

---

[1] ينظر: تاريخ الادب العربي : 125/2 ، 196 ، 221 .

[2] ينظر: ضحى الاسلام : 285/2 ، 294 .

[3] ينظر: الخليل بن احمد الفراهيدي اعماله ومنهجه : 39 – 40 .

[4] ينظر: ملاحظات على كتاب ((ابو زكريا الفراء)) (بحث) : الدكتور احمد مكي الانصاري ، مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق ، مج (47) . ج(3) ، 1392 هـ / 1972م.

[5] ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : 68 ، 78 –79 ، 119 ، 127 ...الخ .

[6] ينظر: الدرس النحو ي في بغداد : 33 على سبيل المثال.

مناص منه . فيما ارجح . ان المدرسة الكوفية حقيقية تاريخية كانت لها شخصيتها المستقلة في حقبة[7] من الزمان...))[8] .

ويرى الدكتور (محمد حسين ال ياسين) ان ((مسألة وجود مدرسة نحوية متكاملة ذات منهج معين باسم "مدرسة الكوفة" من المسائل التي لاتحتاج الى اثبات وشرح وادلة...))[1] . فقد ذهب الى عدم امكانية اهمال اسسها في الاعتماد على النقل والرواية ، والابتعاد عن القياس والفلسفة والمنطق ، وتعلقهم بالقراءات ، فهي بذلك تخالف المدارس البصرية ، وهذا مما يجعلها ذات طابع خاص، مؤسسها الكسائي لا الرؤاسي ولا الهراء. [2]

وذهب الى مثل ذلك الدكتور عبد الهادي الفضلي الذي اشار الى ان شيخ المدرسة الكوفية هو الرؤاسي ثم تلميذه الكسائي الذي اخذ عن شيوخ البصرة ، وعاد للكوفة لتستقر على يده المدرسة الكوفية المنافسة للمدرسة البصرية . [3]

وخلص عدد كبير جداً من باحثينا[4] الى الاقرار بوجود مدرسة نحوية كوفية مستقلة ازاء المدرسة البصرية . ونحن منهم . اذ ان بينها وبين مدرسة البصرة مسائل خلافية دون غيرها

---

[7] الاصل : (فترة)، والصحيح ما اثبتناه .

[8] ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : 357 – 358.

[1] في المدارس النحوية : (بحث) : للدكتور محمد حسين ال ياسين ، مجلة المورد العراقية، مج (3) ، ع (4) ، بغداد ، 1394هـ /1974م ، ص67.

[2] ينظر: المصدر نفسه : 67 –68 .

[3] ينظر: مراكز الدراسات النحوية : 46 .

[4] ومنهم: عبد الرحمن ايوب في: دراسات نقدية في النحو العربي: المقدمة (ب)، ومازن المبارك في: الزجاجي حياته واثاره ومذهبه النحوي من خلال كتابه (الايضاح): 68، 70–71 ، وطه الراوي في: نظرات في اللغة والنحو: 8–9 على سبيل المثال، وعبد الحميد حسن في: المذهب الكوفي في النحو واللغة واثره في التطوير والتيسير (بحث) ضمن (البحوث والمحاضرات)، مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين ببغداد، 1385 هـ – 1965م، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1386هـ –1966م، وعبد العزيز عتيق في: المدخل الى علم النحو والصرف: 137 على سبيل المثال، وفؤاد حنا ترزي في: في اصول اللغة: 21–23، وعبد الحسين المبارك في: من اعلام النحو البصري ابو اسحق الزجاج (بحث) : 47، وعبد الله الجبوري في: ابن درستويه: 177 . 120، وعبد المنعم التكريتي في: ابن الشجري ومنهجه في النحو: 272–273 ، وابراهيم انيس في: من اسرار اللغة: 9، 11–12، وفيصل احمد فؤاد في: الاتجاهات النحوية الحديثة: 8–9 ، وعبد الجبار النايلة في: الشواهد والاستشهاد في النحو: 18، 20 ، 109 ، 340 على سبيل المثال، وهادي نهر في: شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية: قسم الدراسة: 19/1 –20، واحمد مختار عمر في: البحث اللغوي عند العرب: 97،91–98، وعبد الحسين المبارك في: الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة: 6–7، 85، 118، وجعفر نايف عبابنة في:

من المذاهب ، فضلاً عن انه لايمكن تجاهل هذه المدرسة بمصطلحاتها وارائها ، ومسائلها الخلافية مع المدرسة البصرية دون غيرها من المدارس الاخرى . فلا نجد مسائل خلافية بين المدرسة البصرية والمدرسة البغدادية او الاندلسية او المصرية ...

واختلف الباحثون في مؤسس المدرسة الكوفية ، فذهب الاغلب . وهو الصواب . الى انه الكسائي [1] ، وذهب اخرون الى انه الرؤاسي. [2]

وقد انكر قسم اخر . وهو الاقل . وجود مدرسة كوفية مستقلة ومنهم المستشرق (جوتولد فايل) الذي ذهب الى ان ((الكوفة لم تؤسس لنفسها مدرسة نحوية خاصة ، وان خلافات نحاتها ، وخاصة الكسائي والفراء مع الخليل وسيبويه ، انما هو امتداد لما سمعاه من استاذهما البصري يونس بن حبيب ...)) [3].

كما انكرت دائرة المعارف الاسلامية وجود مدرسة كوفية مستقلة ، وعدته من اختراع النحويين المتأخرين . [4]

ومن باحثينا الذين انكروا وجود مدرسة نحوية كوفية (الدكتور ابراهيم السامرائي) رحمه الله ، اذ استند في انكاره لها على اسس هي : الخلاف بين البصريين والكوفيين خلاف في الفروع لا

مكانة الخليل بن احمد في النحو العربي: 52، 69 على سبيل المثال، وزهير غازي زاهد في: النحويون والقراءات القرانية (بحث)، مجلة اداب المستنصرية، ع (15)، 1407هـ / 1987م، ص120، وعبد الله خليل اسماعيل في: احياء النحو وتجديده بين ابراهيم مصطفى وامين الخولي: 77، وعامر عيدان علي اللامي في: المباحث النحوية في تفسير مجمع البيان للطبرسي: 113، 119 ، 126ووليد نهاد عباس في: الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين في خزانة الادب للبغدادي (1093هـ): 15 ،.

[1] ومنهم : جاسم السعدي في : الدراسات النحوية واللغوية ومنهجها التعليمي في البصرة الى القرن الثالث الهجري : 39 ، والدكتور عبد الامير امين الورد في : منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية : 105 ، وعوض حمد القوزي في : المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري : 153 ، وخليل ابراهيم العطية في : جهود الكوفيين في علم الاصوات (بحث) ، مجلة كلية الاداب في جامعة البصرة ، ع (22) ، السنة (24) ، 1411هـ /1991 م ، ص 32 .

[2] ومنهم : احمد مكي الانصاري في : ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : 357–358 ، وموسى بناي العليلي في : الايضاح في شرح المفضل : قسم الدراسة /116–117.،و عبد الله الجبوري في : ابو جعفر الرؤاسي نحوي من الكوفة : 26،36 ، وعبد العال سالم مكرم في : ابو جعفر الرؤاسي المؤسس الاول للنحو الكوفي (بحث) ، مجلة الضاد ، ج(3) ، 1409هـ –1989م، ص61،64 على سبيل المثال .

[3] مقدمة فايل على كتاب الانصاف ، نقلاً عن المدارس النحوية (د.شوقي ضيف) : 155.

[4] ينظر: دائرة المعارف الاسلامية : 201 ، مادة (ثعلب).

الاصول ، وهو موجود بين بصري وبصري وليس فقط بين بصري وكوفي ، فضلاً عن ان مصطلحات الكوفيين غير شاملة او مستقرة ، وسياتي تفصيل ذلك في بحثنا ان شاء الله تعالى . [5]

وقال : ((ولابد ان نخلص فنقول : ان عامة مسائل الخلاف ، التي وردت في كتاب "الانصاف" لايمكن ان تجعل من الكوفيين نحاة من نمط جديد وان مذهب هؤلاء الكوفيين في توفرهم على هذه المسائل الخلافية لايمكن الباحث ان يطلق عليهم "مدرسة" وان استعمال "مدرسة" بهذا المعنى من اصطلاحات الباحثين في عصرنا الحاضر ...))[1]

كما انكر مدرسة الكوفة النحوية الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، بعد ان اثبتها في كتابه "ابو بكر الزبيدي الاندلسي واثاره في النحو واللغة" [2] ، وذكر ان المؤسس الحقيقي لها هو الكسائي وتلميذه الفراء ، ثم عرض خصائص هذه المدرسة . [3] ورد حجج كل من انكر هذه المدرسة . [4]

وذهب الى تصحيح تلك الافكار والاراء في اثبات المدرسة الكوفية فهو يقول اذ استقر عنده نحو البصريين حسب ، يقول : ((ان النحو العربي برمته نحو واحد ، يتبع منهجاً واحداً ، ويخضع لاصول واحدة ، هو نحو البصريين وتلامذتهم واقرانهم من الكوفيين ، وان ليس هناك مذهب كوفي له طوابعه وخصائصه التي تميزه من مذهب البصرين .)) [5] . فضلاً عن ((ان ما اثر عن نحاة الكوفة لايبتعد عن النحو البصري في مصادره ومنهجه ومصطلحه، وما سجلته كتب الخلاف مما خالف به الكوفيون البصريين، هو خلاف في الفروع . كما تقدم . لا الاصول ، وهو من قبيل الخلاف بين افراد الفريق الواحد ...))[6] .

وترى الباحثة ان مدرسة الكوفة النحوية لا يمكن انكارها ، فان لها مصطلحات نحوية خاصة بها ، فضلاً عن ارائها ، واهم ما في ذلك مسائلها الخلافية مع المدرسة البصرية .

---

[5] ينظر: للتفصيل : 170–177 من الرسالة .

[1] النحو العربي نقد وبناء : 56.

[2] ينظر: ابو بكر الزبيدي الاندلسي واثاره في النحو واللغة : 209 – 210 .

[3] ينظر: المدارس النحوية بين ايدي الدارسين (بحث) : 7–8 .

[4] ينظر: المصدر نفسه : 12.

[5] مدرسة الكوفة النحوية . الراي الاخر (بحث) : 56.

[6] المصدر نفسه : 70.

وهذا ما لانجده في أي مدرسة نحوية اخرى تقابل البصرية . ولانكاد نجد كتاباً نحوياً يخلو من الاشارة الى تلك المسائل الخلافية قلة او كثرة .

وان اجماع القدماء على ان نحو الكوفيين نحو مستقل ، كابن النديم والزبيدي ... وعرض الكتب النحوية لاراء كل منها تدل على وجود هذه المدرسة . ومنها كتاب "الانصاف".

2. **المدرسة البغدادية:**

ذكر ابو بكر محمد بن القاسم الانباري (328هـ) "الخلط او التخليط" في تقويم منهج ابن كيسان النحوي فقال: ((خلط فلم يضبط مذهب الكوفيين ولا مذهب البصريين)).[1]

وعد ابو القاسم الزجاجي (337هـ) ابن كيسان ، وابن شقير، وابن الخياط ممن اعتمدوا على علم الكوفيين ، ثم درسوا علم البصريين فجمعوا بين العلمين. [2]

واشار السيرافي (368هـ) الى ان ابن كيسان كان "يخلط المذهبين" [3]، وذكر ((ممن يخلط علم البصريين بعلم الكوفيين: ابو بكر بن شقير ، وابو بكر بن الخياط)) [4] .

وقد اثبت الباحث (مكي نومان مظلوم) ان صاحب فكرة الخلط هو ابو بكر بن الانباري ، ثم السيرافي ،الذي كان استاذا لابن النديم ،مما اوهم اغلب المحدثين بان فكرة "الخلط" تعودلابن النديم . [5]

وذهب الدكتور مهدي المخزومي الى ان ابن النديم لم يعن بفكرة الخلط أي التلمذة للمبرد وثعلب،انما كان يعني بهم اولئك الدارسين الذين تحرروا من تزمت المتعصبين من الفريقين .وهم ثلاث طوائف :جماعة منهم لزموا ثعلبا ومذهبه ،وجماعة لزموا المبرد ومذهبه، واخرى كانت تختلف الى ثعلب والمبرد. [6]

---

[1] طبقات النحويين واللغويين : 153 .

[2] ينظر: الايضاح في علل النحو : 79 .

[3] ينظر: اخبار النحويين البصريين : 113.

[4] المصدر نفسه: 95 .

[5] ينظر : البحث النحوي في العراق في الكتب والرسائل الجامعية 1968 . 1994 : 186–187 .

[6] ينظر: الدرس النحوي في بغداد : 123–124.

ان استعراض موقف الباحثين تجاه المدرسة البغدادية بين مؤيد لها ، او رافض يرجح الموقف الثاني .

ومن المؤيدين لمدرسة بغداد النحوية المستشرق بروكلمان. [1]

ومن باحثينا المؤيدين لوجود مدرسة بغداد الاستاذ احمد امين اذ قال : ((ومع هذا فقد كان التقاء الكوفيين و البصريين في بغداد سببا في عرض المذهبين ونقدهما والانتخاب منهما ، ووجود مذهب منتخب كان من ممثليه ابن قتيبة ...)).[2]

ويرى انه ((ايا ما كان فقد استمر التعاون بين المدرستين في خدمة العلم والنزاع المستمر ... الى اواخر القرن الثالث الهجري ، فكان لكل مدرسة شخصيتها ومميزاتها واعلامها الى ان اختلطتا وامتزجتا في مدرسة بغداد ، فاخذت الفروق تضمحل...)) [3] .

وتابع الدكتور عبد الرحمن ايوب الاستاذ احمد امين فقد اشار الى تعدد المدارس النحوية :المدرسة البصرية ،والكوفية، والبغدادية ،ومصر والشام،والمغرب والاندلس . [4]

كما ايد وجود المدرسة البغدادية الدكتور احمد مكي الانصاري وجعل الفراء مؤسسا لها،وذكر ادلة رياسته لها . [5] ومن ذلك قوله: ((كل هذه الحركات الفكرية كانت بمثابة الارهاص والتمهيد للمذهب الجديد ذلك الذي اكتمل في شخصية الفراء وعقليته ، نتيجة امتزاج المذهبين ،واتحادها اتحادا كاملا نشا عنه عنصر جديد ،له خصائصه المميزة ،وطابعه المستقل .وبذلك كان الفراء . في نظرنا . هو المؤسس الحقيقي للمذهب البغدادي ...))[6].

لا نعلم كيف تسنى للدكتور احمد مكي الانصاري ان يجعل من الفراء مؤسساً للمدرسة البغدادية، فهو المؤسس الثاني للمدرسة الكوفية. فاذا ما انتزعناه منها، لم يبق قبله الا الكسائي الذي لم يصل الينا من مؤلفاته وارائه ما يكفي لقيام المدرسة الكوفية . او

---

[1] ينظر: تاريخ الادب العربي : 221/2 .

[2] ضحى الاسلام : 298/2 .

[3] المصدر نفسه : 312/2 .

[4] ينظر : دراسات نقدية في النحو العربي : 1/ المقدمة (ب) .

[5] ينظر: ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : 351 . 352 ، 364 ، 376 ، 394 – 397 .

[6] المصدر نفسه : 366.

قد ينفي وجود مدرسة كوفية ،وما المدرسة البغدادية الا خلط من المذهبين : البصري و الكوفي ، واذا ما انكرنا المدرسة الكوفية فهذا يعني انكار المدرسة البغدادية ايضا .

وعدت الدكتورة هدى محمود قراعة "الزجاج" مؤسسا للمدرسة البغدادية التي هي خلاصة المذهبين البصري والكوفي ، فهي قائمة على الاختيار منهما ، بدلالة قولها : ((... ولن نرى اقدر من الزجاج ولا افضل منه مؤسسا للمذهب البغدادي ،وواضعا نبتته الاولى ...))[1].

وعد موسى بناي العليلي ابن كيسان مؤسسا للمدرسة البغدادية اذ قال : ((يعد ابن كيسان زعيم المدرسة البغدادية ...)) [2] .

وقال : ((..الا انه لا يمكن انكار وجود المدرسة البغدادية حتى اذا اقتصرت على المزج بين الاراء ؛ لان المزج بين الرايين ينتج عنه منهج ثالث...)). [3] واقر بوجود مدرسة بغدادية في مواضع عدة . [4]

ونحن لا نعد الفراء ولا الزجاجي ولا الزجاج او ابن كيسان مؤسسا للمدرسة البغدادية ؛ فالاختيار او المزج بين اراء المدرستين لا يؤدي الى تاسيس مدرسة نحوية جديدة .

وتابعهم الدكتور هادي نهر اذ اقر بوجود مدرسة بغدادية في النحو، يتراسها ابن كيسان فقد عرف المصريون ((...النحو البغدادي القائم على مذهب الاختيار والذي ظهر في مطلع القرن الرابع على يد ابن كيسان المتوفى (299هـ)...)) [5] .

ويرى عوض حمد القوزي انه في بغداد ((... قامت مدرسة نحوية جديدة ، لا ترى حرجا في الاخذ عن البصريين والكوفيين على السواء فوصف علماؤها بانهم مزجوا بين المذهبين السابقين ،مما جعل الدراسة النحوية فيها تتخذ طابعا جديدا فشكلت بذلك انتقالا في الفكر وتغييرا في طبيعة الدرس النحوي)) [6] .

---

[1] ماينصرف وما لاينصرف : قسم الدراسة / 12.

[2] الايضاح في شرح المفصل : قسم الدراسة /143 .

[3] المصدر نفسه : قسم الدراسة /119.

[4] ينظر: المصدر نفسه : قسم الدراسة / 22.

[5] شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية : 22/1 (من الدراسة).

[6] المصطلح النحوي : نشأته وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري: المقدمة (ط) .

وقال الدكتور علي عبود الساهي : ((لا يمكن تجاهل المدرسة البغدادية ، وطمس معالمها .ولا اقصد بالمدرسة البغدادية مجرد سكن جماعة من النحاة مدينة بغداد ،وانما اذهب الى تسميتهم بهذا الاسم بسبب اخذهم الجيد من كل طرف علاوة على ما قدموه من اجتهادات واراء نحوية جديدة ...)) [1] .

وقال اخر : ((كانت المذاهب النحوية لعهد ابن جني ثلاثة : مذهبان قديمان ،وهما البصري والكوفي ، ومذهب حدث من خلط المذهبين والتخير منهما ،وهو مذهب البغداديين .))[2] . كما ذهب الى وجود المدرسة البغدادية عدد اخر من باحثينا. [3]

وانكر فريق اخر وجود مدرسة بغدادية مستقلة و شكك بها ومن اؤلئك المستشرق (جوتولد فايل) في مقدمته على كتاب الانصاف اذ قال : ((واذا كان البغداديون في المواضع القليلة التي يرد ذكرهم فيها عند النحاة يمثلون راي الكوفيين ، فلا يجوز ان يضللنا ذلك عن حقيقة امرهم ؛ لانه انما يذكر رايهم الخاص في الاحوال التي يخالفون فيها اراء البصريين العامة))[4].

ومن اوائل باحثينا الذين انكروا المدرسة البغدادية الدكتور ابراهيم السامرائي[5] ، اذ قال : ((ان جمهرة من اشتهروا ببغداد من اهل اللغة و النحو والادب هم اؤلئك الذين نعرفهم اعلاما بصريين او كوفيين ، و لذلك كان الكلام على من دعوا بغداديين شيئا يفتقر

---

[1] ابن الخشاب حياته ونحوه : 48 .

[2] الخصائص : المقدمة (46) .

[3] منهم : السيد احمد خليل في : مصر في تاريخ النحو (بحث): مجلة كلية الاداب في جامعة الاسكندرية ، مج (13) ، 1959 ، ص69 ، ومازن المبارك في : الزجاجي حياته واثاره ومذهبه النحوي من خلال كتابه "الايضاح" : 73 ، وعبد العزيز عتيق في : المدخل الى علم النحو والصرف : 155، وفؤاد حنا ترزي في : في اصول اللغة والنحو : 123 ، وعامر عيدان اللامي في : المباحث النحوية في تفسير "مجمع البيان" للطبرسي : 113 ، وسيرين حسين في: ابن خالويه نحوياً : 196 . 198 ، وعبد الحميد السيد طلب في: تاريخ النحو واصوله : 47 والاستاذ سعيد الافغاني في : من تاريخ النحو : 93 . 95 ،.

[4] مقدمة قابل على كتاب الانصاف ، نقلاً عن : الدرس النحوي في بغداد : 192–193.

[5] ينظر : النحو العربي : نقد وبناء : 59–60 .

الى كثير من التدقيق العلمي.)) [6] . وهو على صواب فيما ذكر، فالنحو القديم عنده واحد. [7]

وتابعه الدكتور عبد الفتاح شلبي في انكار المدرسة البغدادية بدلالة قوله : ((واذن لم تكن هناك . فيما ارى . مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها منهجها الخاص في البحث ..)) [1] .

ولم يجعل الدكتور مازن المبارك بغداد مذهبا نحويا جديدا[2] بدلالة قوله : ((واما القول بان هذه الطبقة الجديدة تشكل مدرسة جديدة او مذهبا جديدا فقول لا يمكن ان يفهم منه اكثر من وجود طبقة نحوية جديدة بسطت المذهبين البصري والكوفي ،واختارت منها دون التعصب لاحدهما.اذ ليست هناك اصول واضحة او منهج مستقل خاص بتلك الطبقة .ولم يكن المزج بين المذهبين في بغداد يعني مذهبا جديدا مستقلا عن المذهبين بقدر ما يعني ترك التعصب لواحد منهما.)) [3] .

ولم يرتض الدكتور فاضل السامرائي اطلاق اسم مدرسة على النحو البغدادي بدلالة قوله : ((وعلى هذا فانا ارى انه لا يثبت وجود مدرسة بغدادية الا اذا ثبت انها مدرسة مستقلة ذات اسس مستقلة وكيان خاص واراء مستقلة ، وان نحاتها يتصفون بهذه الصفات ايضا وذلك لم يثبت عندي فيما بين يدي من المصادر...)) [4] .

وذكر في موضع اخر: ((ولا نرجح ان هناك مدرسة نحوية مستقلة اسمها (المدرسة البغدادية) كما ذهب اليه قسم من الباحثين اذ ان من المعلوم ان لكل مدرسة اسسا تقوم عليها من حيث قبول الرواية و رفضها والقياس والسماع وعمن تاخذ؟ومن تدع من القبائل؟ كما هو معلوم في اسس مدرستي البصرة و الكوفة . كما مر . فما اسس المدرسة البغدادية ؟)) [5] .

---

[6] العربية بين امسها وحاضرها : 34 .

[7] ينظر: المدارس النحوية اسطورة وواقع : 12-13.

[1] مناهج البحث النحوي (بحث) : 57 ، وينظر : ابو علي الفارسي حياته ومكانته بين ائمة العربية واثاره في القراءات والنحو : 446 – 447.

[2] ينظر: الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه : 32 ، 34 ، 45.

[3] المصدر نفسه : 36.

[4] ابن جني النحوي : 254.

[5] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري : 318.

وانكر الدكتور السامرائي ان يكون الزمخشري من نحاة بغداد ،فلا وجود لمدرسة بغدادية، فالمزج بين المذهبين لا يؤلف مدرسة مستقلة. [6]

كما لم يرتض الدكتور مهدي المخزومي فكرة المدرسة البغدادية ،التي نعتها بانها فكرة خيالية من صنع المحدثين، ولا دليل يثبتها،[1] فالبغداديون هم الكوفيون ((وان الدرس الذي بدا بعمل الكسائي ،وتعهده الفراء هو الدرس الذي وقف بازاء الدرس البصري وسمي فيما بعد بالدرس الكوفي، وهو الدرس البغدادي الذي شهدته بيئات الدرس في بغداد بعيد تمصيرها. وان اسم البغداديين ، الذي جرت به اقلام النحاة هو اسم للنحاة الكوفيين. وان فكرة (المذهب البغدادي) التي اخترعها المحدثون وتعهدتها انت[2] بالدرس المنهجي كما قلت ،فكرة لم تتجاوز حدود النظرية التي لم يوفق اصحابها الاولون ،ولا دعاتها الاخرون الى اقامة الدليل عليها.)) [3] .

كما ذهب الى ان البغداديين هم الكوفيون ،وليسوا مذهبا نحويا ثالثا[4]، واشار الى ان فكرة المدرسة البغدادية مذهبا ثالثاً هي من عمل المستشرقين: فلوجل وبروكلمان، وقد استوحياه من فكرة ابن النديم ، الذي لم يكن يعني بهم مذهبا ثالثا كما توهم المستشرقون، وكل ما عمله ابن النديم انه جعل تلاميذ المبرد وثعلب جماعة ثالثة من الدارسين اخذوا منهجهم من المذهبين . [5]

وهذا يتنافى مع ما ذهب اليه من اثبات وجود مدرسة كوفية مستقلة في كتابه"مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو".

ويرى الدكتور عبد المنعم التكريتي ان القول بالمدرسة البغدادية ((ضرب من التكلف ،وابعاد عن الواقع))، [6] وان الاخذ من احدى المدرستين البصرية او الكوفية لا تنفي صفة

---

[6] ينظر: المصدر نفسه : 318 – 319.

[1] ينظر: ملاحظات على كتاب "ابو زكريا الفراء" (بحث) : 913 – 914 .

[2] أي الدكتور احمد مكي الانصاري .

[3] المصدر نفسه : 921 – 922.

[4] ينظر: الدرس النحوي في بغداد : 7 – 9 ، 14 ، 20 ، 36 ، 66 ، 158 ، 191 ... الخ .

[5] ينظر : المصدر نفسه : 198 .

[6] ابن الشجري ومنهجه في النحو : 280 .

الانتماء لاحدهما[7] ((فما ذكره الباحثون يبقى ادعاء نظريا ينقصه الاثبات والدليل العلمي وهو ليس الا محاولة مضطربة لايجاد هذه المدرسة لتثليث المدرستين)). [8]

وانكر الدكتور محمد حسين ال ياسين وجود مدرسة بغدادية ،[1] مؤسسها الفراء. [2]

وانكر عدد اخر من باحثينا وجود مدرسة مستقلة في بغداد[3] ، وهم على صواب؛ اذ ان الانتخاب من اراء المدرستين ، والخلط بينهما،والميل الى احداهما. لاتؤلف استقلالا فكريا ، ومذهباً مستقلاً ؛ فهم لا يخرجون عن كونهم بصريين او كوفيين او من خلطوا المذهبين.

3. **المدرسة الاندلسية:**

ايد عدد من باحثينا وجود مدرسة اندلسية ،منهم الدكتورة خديجة الحديثي اذ قالت : ((وكان المذهب الاندلسي يتخذ من المذهب البصري اماما ولكنه كان يختار ويفضل بعض الاراء. وقد سار المغاربة في هذا الاتجاه وتكونت مدرسة يمكن ان تسمى مدرسة الاندلس والمغرب، وهي مدرسة ليست لها سماتها وخصائصها الواضحة كل الوضوح ولكنها على كل حال يمكن ان تمثل اتجاة معينا في النحو واللغة.)). [4]

وترى ان النحو الاندلسي خليط من النحو البصري و الكوفي والبغدادي فضلا عن اراء جديدة. [5]

---

[7] ينظر: المصدر نفسه : 282 – 283 .

[8] المصدر نفسه : 283.

[1] ينظر: في المدارس النحوية (بحث) : 70.

[2] ينظر: المصدر نفسه : 72.

[3] منهم : الدكتور عبد الحسين المبارك في : من اعلام النحو البصري ابو اسحق الزجاج (بحث): 48، وطارق الجنابي في : ابن الحاجب النحوي، اثاره ومذهبه : 24 ، وفيصل احمد فؤاد في: الاتجاهات الحديثة في النحو : 8 . 9 ، 14 . 15 ، وعبد الله الجبوري في: يونس بن حبيب حياته واراؤه في العربية (بحث) ، مجلة كلية الاداب في الجامعة المستنصرية ، ع (1) ، السنة الاولى، 1396 هـ / 1976 م، ص 110 . 111 ، ومهدي صالح الشمري في : الخلاف النحوي بين الكوفيين : 22 . 23 ، ومكي نومان مظلوم في: البحث النحوي في العراق في الكتب والرسائل الجامعية 1968 . 1994 : 189 . 190 ، 193 . 194 ، ونعمة رحيم العزاوي في : المدارس النحوية بين ايدي الدارسين (بحث) : ص 16.

[4] ابو حيان النحوي : 314.

[5] ينظر: المدارس النحوية (د. خديجة الحديثي) : 395.

كما ذهب الدكتور شوقي ضيف،المذهب نفسه [6] ، وتحدث بالتفصيل عن نشاة هذه المدرسة وظهور الدراسات النحوية فيها،ووصول النحو الكوفي اليها ثم البصري والبغدادي . [7]

وذكر الاستاذ طه الراوي ان امهات المذاهب النحوية اربعة :البصرية ،والكوفية ،والبغدادية ،والاندلسية .اما البغدادية فمرجعها المدرسة الكوفية ،والاندلسية مرجعها المدرسة البصرية. [1]

وذهب الى وجود مذاهب اخرى متفرعة يصعب حصرها،اذ يكاد يكون لكل امام مذهب خاص به. [2]

وتابعه عبد العزيز عتيق في ذلك قائلا : ((وقد استحدث الاندلسيون في النحو مذهبا رابعا الى جانب مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين ،ودعامةهذا المذهب تتمثل في الاراء النحوية التي ابداها علماؤهم في بعض المسائل ...))[3] .

وايد الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني ظهور مدرسة اندلسية قائمة على الانتخاب من المدارس العراقية الثلاث، ،فضلا عن توسعهم في بعض الاصول . [4]

وعد الاستاذ الدكتور نعمة رحيم العزاوي ((الزبيدي راس المذهب الاندلسي في النحو ،ورائداً كبيراً نهج النحاة بعده سبيله ...)) [5]، وكان مذهبهم قائما على الاختيار من المذهبين: البصري و الكوفي ،مع الميل الى المذهب البصري . [6]

وخلص عدد من باحثينا الى وجود مدرسة نحوية مستقلة في الاندلس . [7]

---

[6] ينظر: المدارس النحوية (د. شوقي ضيف) : 153 . 154 ، 370 . 371 .

[7] ينظر: المصدر نفسه : 288 . 289 ، 292 . 293 .

[1] ينظر: نظرات في اللغة والنحو : 9.

[2] ينظر: المصدر نفسه : 9.

[3] المدخل الى علم النحو والصرف : 170.

[4] ينظر: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي : 394 . 395.

[5] ابو بكر الزبيدي الاندلسي واثاره في النحو واللغة : 211.

[6] ينظر : المصدر نفسه : 210 . 211.

[7] ومنهم : محمد احمد برانق في : الاتجاهات الحديثة في تيسير النحو (بحث) منشور ضمن (الاتجاهات الحديثة في النحو) بحوث القيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالمرحلة الاعدادية ، يونيه ، 1957 ، دار المعارف . بمصر ص 69، والدكتور عبد الرحمن ايوب في : دراسات نقدية في النحو العربي :

وماقلناه في المذهب البغدادي نذكره هنا، فالخلط بين مذهبين والانتخاب منهما لا يؤلف مدرسة نحوية جديدة ،فتاثر الاندلسيين بالبصريين ،او الكوفيين ،او البغداديين لايعني استقلالهم عنها.

وانكر المستشرق (بروكلمان)وجود مدرسة اندلسية مستقلة . [1]

وذهب عدد من باحثينا الى انكار وجود مدرسة اندلسية نحوية مستقلة ،اذ قال الدكتور مهدي المخزومي عند حديثه عن نشاة النحو في الاندلس : ((...فنشا درس يكاد يكون مذهبا جديدا مستقلا لا هوبالكوفي المحض ولا هو بالبصري المحض ،ولكنه لم يكن ليكون مذهبا جديدا مستقلا ... ولا اظن بي حاجة الى التاكد بان النحو في الاندلس هو النحو في المشرق العربي ، وان الجدل الذي كان يدور بين الدارسين في الاندلس كان يدور في مجالس الدرس في البصرة و الكوفة وبغداد ، ولم يصل الينا من الاندلس مذهب جديد او درس جديد لا يتصل بدرس العراقيين بسبب او صلة ،اللهم الا ما كان من ابن مضاء القرطبي في كتابه "الرد على النحاة")) [2] .

وذهب الى ان النحو في الاندلس هو النحو في المشرق ،وان الجدل الذي كان يدور في مجالسها ،هو ما كان يدور في مجالس الدرس في البصرة والكوفة وبغداد ،وبهذا لم يكن لها مذهب نحوي مستقل . [3]

ويرى ان فكرة المدرسة الاندلسية كانت مستوحاة من عمل الزبيدي في طبقاته ، حين خصص للنحويين واللغويين الاندلسيين مكانا خاصا فيها ، وهذا ما اوهم الدارسين بوجود مذهب اندلسي . [4]

المقدمة (ب) ، والسيد احمد خليل في : مصر في تاريخ النحو : 69 ، وطه عبد الحميد طه في : النحو نمط من التفكير العربي الخاص (بحث) : 239، وفي مقاله: ادوار تطور النحو حتى الطور البغدادي : ص 2– 3 ، والدكتور عبد العال سالم مكرم في : المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة : 20 على سبيل المثال ، و د. عبد القادر رحيم الهيتي في: خصائص مذهب الاندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري : 8 على سبيل المثال .

[1] ينظر: تاريخ الادب العربي : 274/2 .

[2] نحاة اندلسيون (بحث) : الدكتور مهدي المخزومي . رحمه الله . ، مجلة المعلم الجديد ، مج (21) ، ج (3) ، 1958 م ، ص6 – 7.

[3] ينظر : اعلام في النحو العربي : 109.

[4] ينظر: الدرس النحوي في بغداد : 185 – 186.

فالقول بوجود مذهب اندلسي من اوهام المحدثين ،وهي مما لا تنهض بها حجة ، ولا يقوم عليها دليل . [5]

وتابعه الاستاذ سعيد الافغاني الذي ذهب الى انه ((ليس لاراء الاندلسيين هؤلاء سمات مدرسة خاصة)). [1] وفند اراء القائلين بان ابن مالك (672هـ) وابا حيان (745هـ) علمان بارزان من اعلام المدرسة الاندلسية ،اذ ان كلا منهما طابعه مشرقي محض، لهم الاثر الواسع في النحو وتعليمه في المشرق، وهذا عائد الى شخصيتهما . كما يرى الافغاني . لا الى اندلسيتهما. [2]

فضلا عن تفنيده اراء الذين زعموا وجود مذهب اندلسي استنادا الى شروع ابن مالك وابن خروف بالاستشهاد بالحديث الشريف ، والاحتجاج به في قضايا اللغة والنحو، فهذا وهم لايقره تاريخ الفن ؛ اذ ان نزعة الاحتجاج بالحديث مشرقية قديمة ... [3]

كما انكر الدكتور ابراهيم السامرائي وجود مدرسة اندلسية بدلالة قوله: ((واذا كان صعبا علينا ان نتلمس معالم الطريق الى اثبات مذهب بغدادي ،فالامر اصعب كثيرا اذا اتجهنا الى الكشف عن مذهب اندلسي او مذهب مصري .نعم لقد كان هناك نحاة اندلسيون ونحاة مغاربة ونحاة مصريون .وهذا التقسيم لا يقوم اساسا على ان النحاة من اهل هذه الامصار قد اتوا بجديد يتهيا منه مذهب قائم ، فالمعقول ان هذا التقسيم جغرافي ليس غير .)) [4]

وعزا السامرائي فكرة التوزيع الجغرافي الى اصحاب كتب الطبقات الذين وزعوا النحويين على الامصار تسهيلا للعمل. [5] ((...على ان هذه المادة النحوية في هذه المصنفات الاندلسية والمغربية والمصرية لا تعدو ان تكون مصادر يرى فيها الدارس الاراء المختلفة للنحاة المشارقة من بصريين وكوفيين .)) [6]

---

[5] ينظر: المصدر نفسه : 7 ، 9 – 10 .

[1] هل في النحو مذهب اندلسي (بحث) للاستاذ سعيد الافغاني ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج (7 – 8) ، 1959 – 1960 م ، ص 79.

[2] ينظر : المصدر نفسه : 79.

[3] ينظر: المصدر نفسه : 80.

[4] النحو العربي نقد وبناء :59 – 60.

[5] ينظر: المصدر نفسه : 60.

[6] المصدر نفسه: 60.

ويرى الباحث فيصل احمد فؤاد انه ((ان كان في تاريخ نحونا مذاهب تستحق توجيه الكواشف والتمييز والتخصيص فليس حقيقا بها غير اهل البصرة والكوفة ،وما سواهما فهو الجهد الفردي ليس غير .اما نحو بغداد والاندلس ومصر والشام وغير فليس سوى الجهد البصري وشيء من الكوفي منضما الى الابداعات الذاتية ..)) [1] . كما انكر ان يكون للاندلس مذهب او مدرجة في مواضع اخرى[2].

وهناك عدد اخر من باحثينا الذين ذهبوا الى ان الاندلسيين لم تكن لهم مدرسة نحوية مستقلة. [3]

يتضح لنا ان فكرة تبعية المدرسة الاندلسية للمدرسة البصرية والكوفية تجعلنا نتبع اولئك المنكرين لوجود مدرسة اندلسية مستقلة.

4. مدرسة مصر والشام:

ذهب عدد من الباحثين الى القول بوجود مدرسة نحوية في مصر والشام ومنهم الدكتورة خديجة الحديثي التي اقرت بوجود مدرسة مستقلة في مصر والشام ،كانت تعتمد على مدرسة البصرة اعتمادا كبيرا، ثم سلكت مسالك البغداديين، فاخذت تقارن بين الاراء، وترجح بعضها على بعض. [4] كما اقرت ذلك في موضع اخر. [5]كما ذهب فتحي عبد

---

[1] الاتجاهات النحوية الحديثة : 8 – 9 .

[2] ينظر: المصدر نفسه : 14 – 17.

[3] منهم : الدكتور عبد الله الجبوري في : يونس بن حبيب حياته واراؤه في العربية (بحث) ، مجلة كلية الاداب في الجامعة المستنصرية ، ع (1) ، السنة الاولى ، 1396 هـ / 1976م ، ص110 ، ومهدي صالح الشمري في : الخلاف النحوي بين الكوفيين : 23 ، ومكي نومان الدليمي في : البحث النحوي في العراق في الكتب والرسائل الجامعية 1968 . 1994 ، ص203 ، 206 ، وايثار شوقي سعدون في : الجهود النحوية عند ابن سيده : 8 ، ونعمة رحيم العزاوي في : المدارس النحوية بين ايدي الدارسين (بحث) : 18.

[4] ينظر: ابو حيان النحوي : 368.

[5] ينظر: المدارس النحوية (د. خديجة الحديثي) : 332 ، 340 ، 343 . على سبيل المثال .

الفتاح الدجني الى وجود مدرسة مصرية قائمة على الاختيار والانتخاب من المدارس النحوية التي سبقتها: البصرية، والكوفية ، والبغدادية . [6]

وذكر موسى بناي العليلي ((..ان المذهب السائد في اقليمي مصر والشام ،هو الاتجاه نحو المدرسة البصرية،وهذا المذهب . كما عرفنا سابقا . هو احد اتجاهات المدرسة البغدادية التي كان من اهم مقوماتها المزج والانتقاء ...)) [1] ويتضح لنا عدم تصريحه باستقلال مدرسة مصر النحوية،وتردده فيه.

وتابعه الدكتور احمد نصيف الجنابي الذي صرح بوجود مدرسة مصر في القرن الثالث ،واعتمادها على اصول المدارس الاخرى :البصرية ،والكوفية ،والبغدادية . [2]

وذهب الدكتور هادي نهر الى ما ذهب اليه الجنابي في اتباع مدرسة مصر النحوية المدارس الثلاث ،[3] ثم قال وكانه يتردد في الاقرار بهذه المدرسة : ((واذا جاز القول بوجود (مدرسة نحوية مصرية)فيكون ابن هشام امام هذه المدرسة وعلمها ، وابنه تلاميذها بدون منازع وايته في ذلك تراثه الضخم...)) [4] .

وذكر الدكتور علي عبود الساهي ان المرادي كان ((ركنا من اركان مدرسة نحوية خدمت اللغة العربية بكل فروعها وفنونها وقدمت لها التراث الضخم ،هي مدرسة مصر النحوية ...)) [5] .

ويتضح لنا ان اولئك الباحثين جميعا اشاروا الى اخذ المذهب المصري عن البصري والكوفي والبغدادي ثم الاندلسي ،فكيف يتسنى لنا ان نذهب الى وجودها مدرسة مستقلة ،وهي ليس لها الا اراء تلك المذاهب ؟

---

[6] ينظر: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي : 451 ، 453 . 454 ، 462 ، 468.

(2) الايضاح في شرح المفصل : قسم الدراسة / 150 . 151.

[2] ينظر: الدراسات اللغوية والنحوية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري : 37.

[3] ينظر: شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية : 25/1.

[4] المصدر نفسه : 177/1.

[5] المرادي وكتابه توضيح مقاصد الالفية : المقدمة (ب)

وخلص عدد من باحثينا الى اثبات وجود مدرسة مستقلة في النحو في مصر والشام [1] .

وانكر قسم اخر وجود مدرسة مصر النحوية ، فقد شكك المستشرق بروكلمان وجود مدارس مستقلة في مصر واليمن والاندلس ،بدلالة قوله : ((ليس عندنا من تاريخ العلوم في بلدان المغرب عن هذه الحقبة الا اخبار جدا ضئيلة ،وان تبين من هذه الاخبار - الى حد الكفاية -ان المدارس التي نشاة في تلك البلدان كانت قائمة تماما على اساس مدارس العراق.)) [2] .

وذهب الدكتور عبد الحسين المبارك الى وصف اصحاب الطبقات المحدثين و المؤرخين ،وبعض كتب التراجم بانهم ((... راحوا يصنفون العلماء الى اصناف ومدارس نحوية ،كالمدرسة البغدادية او المصرية او الاندلسية ،تقسيمات لا مبرر لها فجميعهم لا يخرجون عن كونهم بصريين او كوفيين تحرروا من قيود المذهبين وخالفوا اصحابهم في بعض ارائهم وانفردوا باقوال لم تكن من صميم مذهبهم .والزجاج احد هؤلاء...)) [3] .

وانكر الدكتور مهدي المخزومي وجود مدرسة مصرية مستقلة اذ ((لم يكن في هؤلاء الدارسين المصريين الذين رجعوا الى مصر من الاصالة ما يدفع الكاتب او المؤرخ الى الظن

---

[1] منهم : محمد احمد برائق في : الاتجاهات الحديثة في تيسير النحو (بحث) : 69 ، وعبد الرحمن ايوب في: دراسات نقدية في النحو العربي: 1/ المقدمة (ب) ، والسيد احمد خليل في: مصر في تاريخ النحو (بحث): 69، وعبد الحميد حسن في : المذهب الكوفي في النحو واللغة واثره في التطوير والتيسير : 231، وطه عبد الحميد في: ادوار تطور النحو حتى الطور البغدادي (بحث): ص1 والدكتور شوقي ضيف في المدارس النحوية: 150 على سبيل المثال ، ، وعبد العال سالم مكرم في: المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة: 6 ، 15 ، 17 – 18 ، 21 ...الخ، وعبد القادر رحيم الهيتي في: خصائص مذهب الاندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري:8 ، 39 – 40 ... الخ، ، ومثنى يوسف في الدرس النحوي عند الاسنوي: 4 على سبيل المثال .

[2] تاريخ الادب العربي : 274/2.

[3] من اعلام النحو البصري ابو اسحق الزجاج (بحث) : 48.

بوجود مدرسة نحوية مصرية لها اصولها ،ولها قواعدها، ولها منهجها الذي يميزهاعن المدارس النحوية التي ظهرت في البصرة والكوفة وبغداد ..)) [4]

وذهب الى ذلك في مواضع اخر ،بدلالة قوله : ((اما مذهب الاندلسيين ،او مذهب المصريين ،او غيرهما فمذاهب لا وجود لها الا في اوهام القائلين بها ،المرسلين القول مزاعم ومدعيات لا تنهض بها حجة ،ولا يقوم عليها دليل .)) [1] .

كما ذهب الدكتور ابراهيم السامرائي . رحمه الله . الى وجود مذهب نحوي واحد[2]، وانكر المذهب البغدادي، والاندلسي، والمصري . [3]

واشار الدكتور عبد الامير الورد الى ((ان اطلاق القول بوجود المدارس النحوية غير مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة كان عند الباحثين قديما وحديثا ضربا من التزيد ما دام لم يستند الى اسس علمية واضحة ... فلا مدرسة بغدادية ،ولا مدرسة مصرية ، ولا مدرسة قيروانية ،ولامدرسة افريقية .)) [4] .

وخلص عدد من باحثينا الى انكار هذه المدرسة ،[5] ونؤيدهم في ذلك ؛ لان الاختيار والمزج والانتخاب من اراء المدرستين البصرية والكوفية لا يؤدي الى تكوين مدرسة مستقلة جديدة . فكما تبين لنا ان المصريين اما متابعون للبصريين او الكوفيين، وليس لهم اراء جديدة تصل الى عدها مدرسة مستقلة بذاتها .

الرافضون للمدارس النحوية:

رفض الدكتور ابراهيم السامرائي فكرة المدارس النحوية بدلالة قوله: ((ولا ارى موجبا للتكثير من هذه المذاهب اذا عرفنا ان اصحابها لا يؤلفون وحدة في التفكير والمنهج ... واذا

---

[4] اعلام في النحو العربي : 120

[1] الدرس النحوي في بغداد : 9 – 10.

[2] ينظر: المدارس النحوية اسطورة وواقع : 159.

[3] ينظر: النحو العربي نقد وبناء : 59 – 60 .

[4] المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير : 37.

[5] منهم : طارق الجنابي في : ابن الحاجب النحوي اثاره ومذهبه : 26 ، وفيصل احمد فؤاد في : الاتجاهات النحوية الحديثة : 17 ، وعبد الله الجبوري في : يونس بن حبيب حياته واراؤه في العربية (بحث) : 110 ، ومهدي صالح الشمري في الخلاف النحوي بين الكوفيين : 23 ، ومكي نومان مظلوم في : البحث النحوي في العراق في الكتب والرسائل الجامعية : 1968 . 1994 : 196 . 197 ، 201 . 203 ، ونعمة رحيم العزاوي في: المدارس النحوية بين ايدي الدارسين (بحث) : 17.

كان صعبا علينا ان نتلمس معالم الطريق الى اثبات مذهب بغدادي ،فالامر اصعب كثيرا اذا اتجهنا الى الكشف عن مذهب اندلسي او مذهب مصري .نعم لقد كان هناك نحاة اندلسيون، و نحاة مغاربة ، ونحاة مصريون .وهذا التقسيم لا يقوم اساسا على ان النحاة من اهل هذه الامصار قد اتوا بجديد يتهيا منه مذهب قائم ،فالمعقول ان هذا التقسيم جغرافي ليس غير .)) [1] .

كما تبين رفضه لفكرة المدارس حين ذكر ان عرضه للخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة لم يكن شيئا يخوله بالقول فيها "المدارس النحوية ". [2] وقال : ((وقد انكرت ان يكون مدرستان هما البصرية والكوفية ، فالنحو القديم واحد ..)). [3] ورفض فكرة المدارس في مواضع اخرى وعدها تقليدا للغرب . [4]

وتابعه الدكتور هادي عطيه الهلالي الذي رفض رفضا قاطعا وجود المدرسة البغدادية ومدرسة المغرب والاندلس وغير ذلك .و ذكر قوله ان : ((الحجة في رفض تعدد المدارس ان النحو استوى ونضج في البصرة ،وكتاب سيبويه خير دليل على ما اقول وقد اخذه النحاة في جميع الامصار ، واخذوا كتب الكسائي والفراء والزجاجي وابن جني وعملوا منها الشروح والمختصرات . او اعتمد النحاة في سائر العالم الاسلامي على ما الفه نحاة البصرة والكوفة ،وممن نهج الوسط بين المدرستين .

والا اذا كنا سلمنا بتعدد المدارس بحجة الخلافات بين النحاة . على الرغم من الرفض بتعددها على الاساس الجغرافي . وجب ان نعد كل علم من مشاهير النحاة مدرسة نحوية ايضاً ، فاختلاف المبرد مع سيبويه نطلق على كل منهما مدرسة ، فمدرسة المبرد ومدرسة سيبويه ، وهكذا فمدرسة الخليل والاخفش ... الخ .

وبالنسبة الى نحاة الكوفة نطلق على الكسائي مدرسة الكسائي ، وعلى الفراء مدرسة الفراء ، وعلى ثعلب مدرسة ثعلب ، ولو اتفقت وجهة نظر الدارسين بان لعلم النحو مدرسة واحدة واما الاختلافات بين النحاة فتعد اجتهادات فردية لهم فكان من الاحسن ...)) [5] .

---

[1] النحو العربي نقد وبناء : 59 . 60 .

[2] ينظر: المدارس النحوية اسطورة وواقع : المقدمة (7) .

[3] المصدر نفسه : 159.

[4] ينظر : المصدر نفسه : 139 . 140 .

[5] كشف المشكل في النحو : 104 . 105 .

واعتمد الدكتور علي ابو المكارم في رفضه فكرة المدارس النحوية على ان ((المنهج الذي سارت فيه الدراسة النحوية واحد في مدنه المختلفة تحكمه قواعد عامة لم يخرج عليها وان تفاوت تاثير بعضها . واذن ليس ثمة مدارس . بالمعنى الذي يقطع بوجود منهج مميز لكل منها . في النحو ، وانما هناك تجمعات مدنية . وهذه التجمعات تتحرك في اطارات متشابهة وتطبق اصولاً واحدة ، وان اختلفت فيما بينها في بعض الجزيئات فانه اختلاف لاينفي عنها وحدة المنهج واتفاق الاصول.)) [1] . نلاحظ انه اطلق عليها "تجمعات مدنية" وليس "مدارس نحوية" .

وهناك من رفض التقسيم الجغرافي للمدارس النحوية ومن اولئك الرافضون الدكتور عبد القادر رحيم الهيتي الذي رأى ((ان النحو العربي . كغيره من العلوم . لايمكن تقسيمه تقسيماً جغرافياً . وانما يمكن تقسيمه تقسيماً اخر قائماً على الاصول التي سار عليها كل مذهب فيمكن القول بان هناك مدرسة للسماع ومدرسة للقياس مثلاً...)) [2]

ومع هذا فقد اتبع التقسيم الجغرافي بدلالة قوله: ((والرأي عندي بعد ذلك كله . اننا اذا سرنا . كما سار من سبقنا . في تقسيم المدارس النحوية تقسيماً جغرافياً . نستطيع ان نؤكد ان هناك مدرسة نحوية للاندلس لها اراؤها الخاصة بها وسماتها المميزة لها عن غيرها من مدارس النحو في المشرق.)) [3] .

وتابعت الدكتورة خديجة الحديثي الزبيدي من القدماء ، والدكتور شوقي ضيف من المحدثين في تقسيم المدارس تقسيماً جغرافياً ، وفضلته ؛ ان النحو اصله "نحو البصرة" ومنه انتشر الى الامصار الاخرى . [4]

كما عد الباحث حسن منديل حسن التقسيم الجغرافي بحسب الاقاليم تضييقاً للمذاهب النحوية التي انفرد بها ائمة النحو ، وهي كثيرة ، بحيث يصعب تصنيف مذاهب النحاة جميعها في ضمن هذه المذاهب وحدها : البصرة ، والكوفة ، وبغداد ، ومصر ، والاندلس . [5]

---

[1] تقويم الفكر النحوي : 243 . 244 .

[2] خصائص مذهب الاندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري : 301 .

[3] المصدر نفسه : 64 .

[4] ينظر: المدارس النحوية (د. خديجة الحديثي) : 28 .

[5] ينظر: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة : 28 .

وقد دعا الى تسمية وتقسيم المذاهب بحسب كبار نحاتها ، وبهذا تنسب الاراء الى اصحابها الحقيقيين ، لا الى مذهب لا يعرف اوله ولا اخره كالمذهب البصري مثلاً . فهذا التقسيم الجديد سيعفينا من البحث عن عمر المدرسة البصرية ، واسباب انتشارها ... وهذا لايؤدي الى خلل في ان مئات من النحاة لايمكن نسبتهم الى احد الائمة المشهورين ؛ لان كل متخصص او دارس للنحو يرتبط بسلسلة من النحاة تنتهي عند شيوخ الخليل . [1]

وقد دعا الى تجاوز التقسيم على اساس المعيار الجغرافي ؛ اذ ان لكل بيئة طابعها وسماتها واثرها في نحاتها . [2]

كما ذهب الباحث مكي نومان مظلوم الى رفض تعدد المدارس على الاساس الجغرافي . [3]

وشجعت الباحثة ايثار شوقي سعدون نسبة المذاهب الى الامصار ؛ لمعرفة الخصائص المنهجية لكل منها تبعاً لتغير الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية . [4]

وكما قلنا . فان المدارس اساساً لاوجود لها . فيما نرى . غير اثنتين منها : البصرية والكوفية ، ولا داعي لتقسيمها جغرافياً ، الا لغرض دراسي تعليمي .

---

[1] ينظر: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة: 30 – 31 .

[2] ينظر: المصدر نفسه : 47 .

[3] ينظر: البحث النحوي في العراق في الكتب والرسائل الجامعية 1968 – 1994م : 210.

[4] ينظر: مناهج التاليف النحوي في العراق 1950 – 2000م : 166.